رباعيات عثمان ...!

للأستاذ عثمان حامي

آذنتْ آيةُ الدجى بالزوال ... وسرى كالنسيم نسيم الشمال
حاملاً للحياة نفحاً من العط ... ـر وروحاً جديدة الآمال
مُعلناً في براءةٍ آية الفجـ ... ـر كما في براءة الأطفال
وكأن النجوم حيرى وقد أد ... ركن في صمتهن قربَ المآل

وبدا الصبح ساكناً في ظلال ... من جلال عجيبة الأشكال
رافعاً رأسه المضيئة في الكو ... ن على كل مستقرّ وعال
ساحباً ذيله على النجم حتى ... لم يدعْ منه غير مثل الذبال
فتوارى من السموات نجمٌ ... سار في إثره من النجم تال

وتجلت على الربى والمروج ... لمحات من الصفاء البهيج
فعلى جانب السماء من الشر ... ق شبيهٌ بالنار ذات الأجيج
ذاتِ لون مُورّد أرجـوا ... نيٍّ وروحٍ في الشمّ ذات أريج
هتفتْ بالرجاء همساً بذات الـ ... ـصدْع لما هفت بذات البروج

ورنا حاجب من الشمس ساج ... صامتٍ في لهيبه الوهّاج
فتراءى لكل عين على الأفـ ... ـق منيراً كشعلة من سراج
واستحالت لآلىء الطلّ في الدو ... ح إلى محض سائل وجراج
وسرتْ موجة من النور يتلو ... ها سواها من هذه الأمواج

صورة إثر صـورة تتوالى ... شهد الطير حسنها أشكالا
فتغنى ما شاء للصبح إكبا ... راً وغنّى لنـوره إجلالا
وأفاق الإنسان من موته الأصـ ... ـغر واستقبل الحياة نضالا
فمضى في طلابه الرزق يسعى ... وتمادى ضجيجه وتعالى

وبدا في الحياة يوم جديدٌ ... صارمٌ وجهه الجديد المجيدُ
كلما عجّ في الوجود على الصمـ ... ـتِ على الصمت عجّ فيه الوجود
وتجلى النهارُ واستعلت الشمس ... وكدّ الشقيُّ والمجدودُ
ومن الغيب خلفه وهو يجرى ... كيفما كانت الحياةُ شهودُ

ومضى في الزمان هذا النهار ... وتوالت بما جنى الأخبارُ
وطوى الغيب صفحة في سجل ... سطرته بكفّها الأقدار
ولكم أضمرت سواها من الما ... ضي ومرّت فما لها آثار

هكذا فات ذلك اليومُ في العمـ ... ـر وفاتتْ بمثله الأعمارُ

ما ترى الشمس بعد طول اللغوب ... كيف مالت هزيلة للمغيب
وهي تهوى بين السحاب إلى البحـ ... ـر وتخطو إليه خطو الهيوب
وكأني بها على الدهر ملّتْ ... سمْتَها بين جيئة وذهوب
صورة لو فطنتَ تأخذ بالألـ ... ـباب من حسنها العجيب المهيب

صورة تلك تمقتها السماء ... كم تغنى بحسنها الشعراء
فلقد تبعث السرور وقد يهـ ... ـتاج منها لدى الشجيّ البكاء
والتقى البحر بالسماء مع الشمـ ... ـس ولكن شبيهات هذا اللقاء
خدعة في العيون أم ضلت الأبـ ... ـصار أم قد أصابها إعياء

هاهي الشمس مسّت الأفق مساً ... وارتضى قرصُها من البحر رمسا
فهوى فيه صامتاً وانتهى الأمـ ... ـر فما تستبين في الكون جرسا
غير همس في الأذن لم تدر معنا ... ه وخافٍ في النفس يهمس همسا
ربما مال بالنفوس إلى اليأ ... س وإن لم تصب من العمر يأسا

ها هي السحب بين بيض وحمر ... رابضات وبين دُكن وصُفر
لوّنتها كما تشـاء يد الغيـ ... ـب ولم تستعن بدهن وحبر
فتوالت شتى المناظر حتى ... لم تقع مقلة على مستقر
يا لها من يد أجادت لعمري ... ما أجادته بين طي ونشر

فوداعاً أيا رفاق شبابي ... ووداعي الأخير يا أحبابي
ربما دارت الليالي علينا ... فالتقينا من بعد طول اغتراب
إنما نلتقي شخوصاً سوى أشـ ... ـخاصنا من بعد هذا الغياب
بدلتنا يد الزمان سوانا ... إن قضت بعد غيبة بالإياب

لم هذا التغيير والتبديل ... وإلام التحور والتحويل
فجسوم على المدى وعقول ... ونفوس على الليالي تحول
كل حب إلى زوال وإن جد ... لعمري وكل حسن يزول
ما نجا الميت الجماد ولا الحـ ... ـي ولا سالم ولا معلول

لم لا نلتقي لغير فراق ... ربما ساقنا لغير تلاق
ما لنا من يد على البعد والقر ... ب وكل الأمور محض اتفاق
لم هذا والعمر يوم إذا ما ... طال بين الغروب والإشراق
طال مني على الحياة سؤالي ... لم لا نلتقي لغير فراق

عثمان حامي